مكتبة مصر
تقدم
مجموعة محمد وصحبه

# باكروا الغدو

إعداد : أمير سعيد السحار



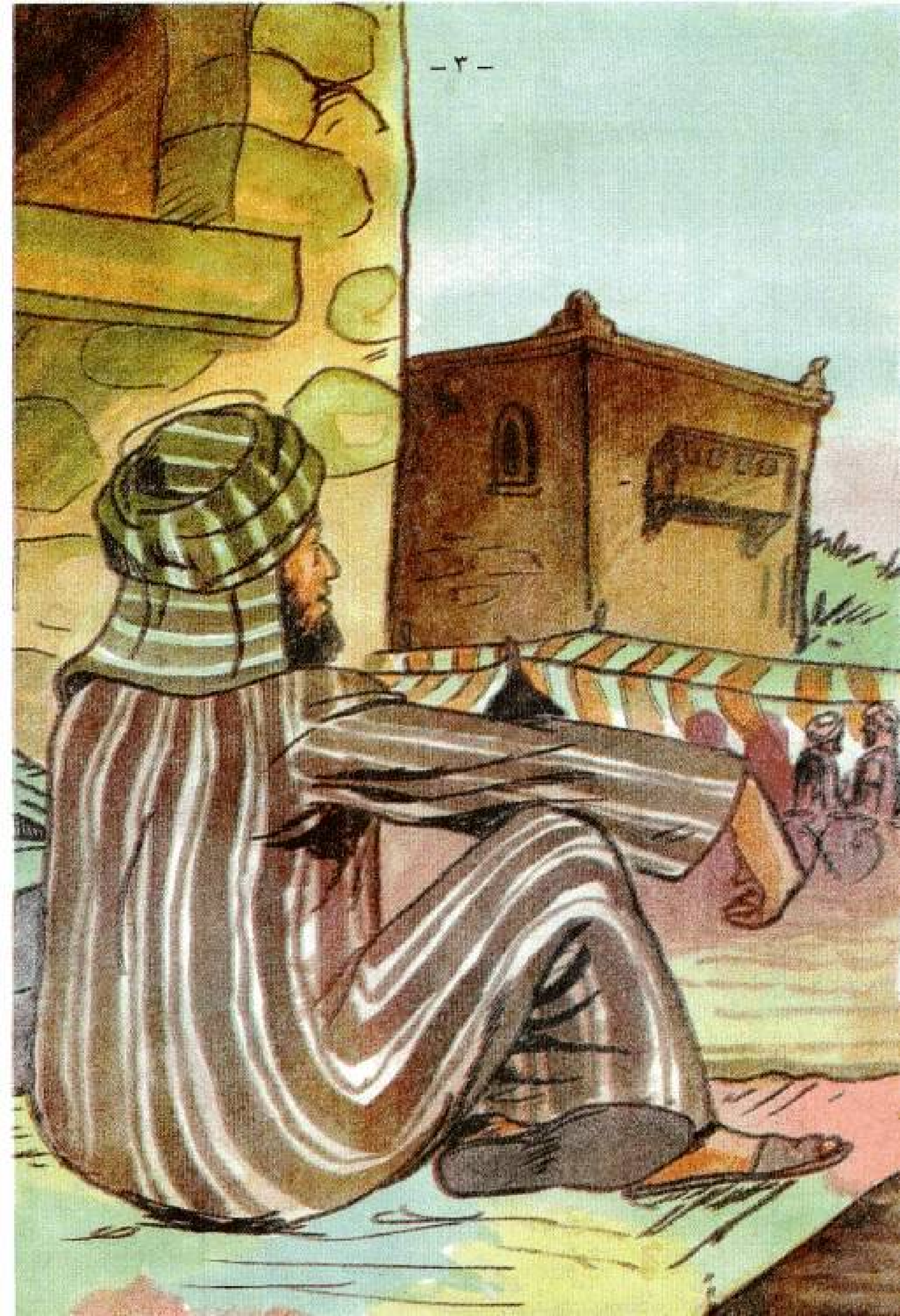
الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي بالفجالة

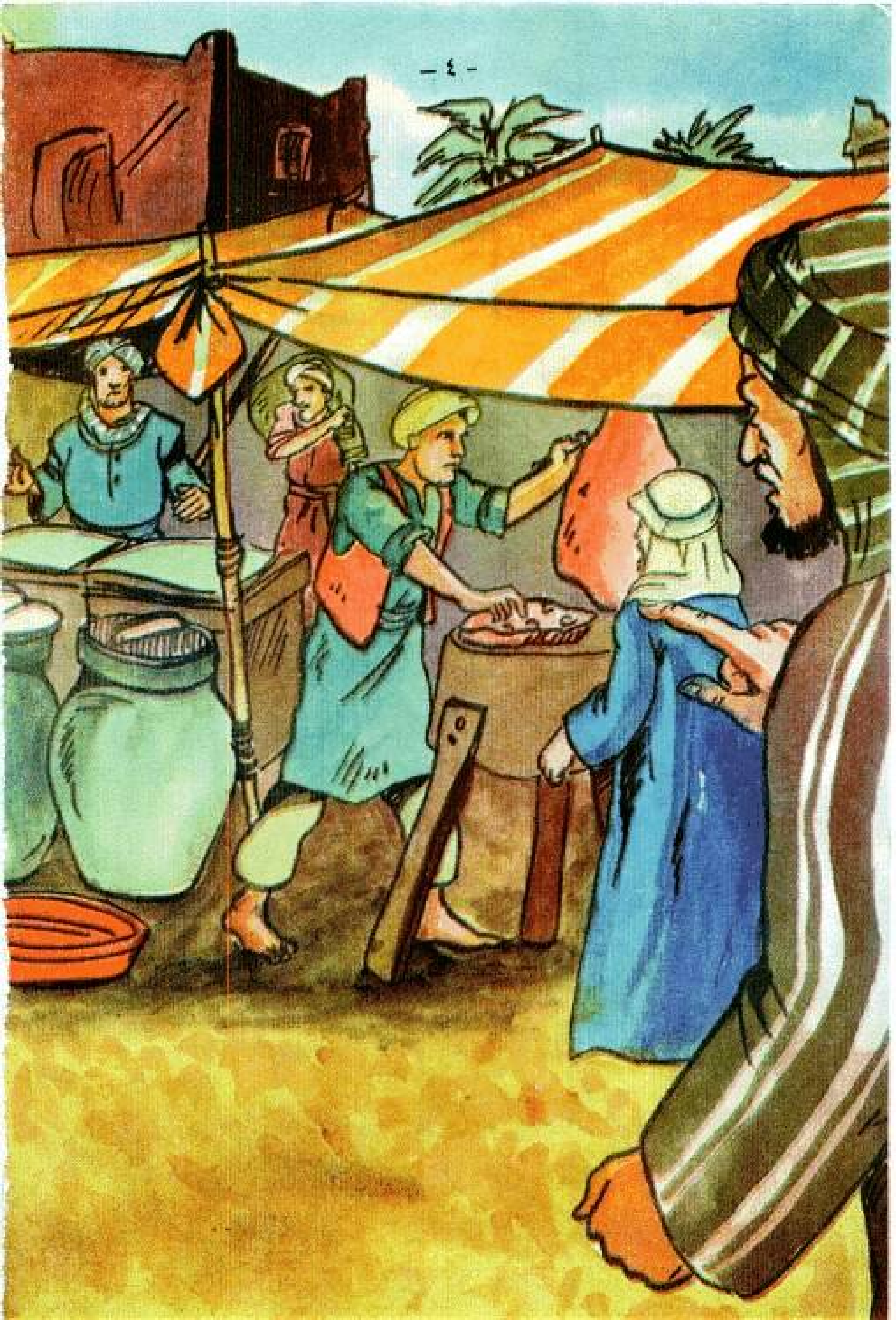
رسوم
عبد الرحمن بكر

كان أحدُ الصَّحابةِ يبالغُ فى راحةِ بدنِه ، ويخلُدُ إلى الهدوءِ والدَّعةِ أكثرَ مما يلزمُ ، ويعتقدُ أنَّ هذا لا حرَجَ فيه ، ولا مؤاخذةَ عليه . فكان هذا مدعاةً إلى توانيهِ فى سبيلِ تحصيلِ القوتِ ، والجهادِ فى ميدانِ الحياةِ والعَيشِ . ولم يكنْ كإخوانِه نشيطًا جادًّا فى الحياة ، لا يدَعُ سبيلاً إلا يطرُقُه ويسيرُ فيه ، وكان يدافعُ عن وِجهةِ نظرِه هذه بأن لجسمِ الإنسانِ حقًّا عليه، وهذا الحقُّ إراحتُه ، وعدمُ إجهادِه وإتعابه .. !

وكان لهذا أثرٌ سيِّءٌ فى حياتِه ، التى تدهورَتْ بسببِ الكسلِ ، وعدمِ الإرادةِ الحازمة ، والنَّشاطِ الغامر ، فإنَّ هذه الحياةَ ترفضُ كلَّ من لم يجد ، ولا تعطيه شيئًا مما يريد ، ما لم يقاتلْ فى هذه السَّبيلِ ويجاهدُ جهادَ الأبطال..

وهذه سنّةُ اللَّه فى الكون ، لم يختص بها الإنسانَ دون غيرِه من الأحياء ، وإنما شمِلت الحيوانَ والطّير ، وكلَّ ما يجري في عروقِه دم ، أو ينبِضُ له قلب ..





بيدَ أنَّ هذا الصّحابيَّ الجليل ، كان يشاهدُ زملاءَه فى فَوْرة من الجدِّ وثورةٍ من العمل ، يجدّون ، ويعملون ، وهم فرحون بهذا العمل ، لا يتضجّرون ولا يَملون ، وكأنما وراءَ هذا الأجرُ والثوّابُ الجزيل ، إذن ، فهو فى ناحيةٍ وهم فى ناحية ، وهو فى طريقٍ وهم فى طريق ، تُرى أىُّ الطريقين خير ؟ وأى الناحيتَيْن أصح ؟

وابتدأ يلاحِظُ ويقارن ، ويفهمُ فى الحادثاتِ ما لم يكنْ يفهم، فمِن الخطأِ أن يظلَّ بعيداً عن طريقِ الجادَّة ، لمجرد رأْيٍ يراه ، لا يراه غيرُه ..

وسَرعانَ ما تكشّفتْ له الحقيقة ، وابتدأ يفهمُ الموقفَ على حقيقتِه تمامَ الفهم ، وأنه كان مُخطئًا حينما كان يُعطِي جسمَه من الرّاحةِ والهدوءِ أكثرَ مما يتطلّب ، فيخلُد إلى الكسل ، ولا يبادرُ إلى فعل الخيرِ والصّلاحِ ، والتّقدُّمِ إلى ميدانِ الحياةِ فى عزمٍ وقوةٍ ونشاط ، وأن الدُّنيا حينما حرمَتْه لَذاذةَ العيشِ فلأنها لا تُعطِي سوى المجاهِد ، ولا تهَبُ لغيرِ الشُّجاعِ الجَسور..

وإن من قوةِ الإرادة ، أن تصدُقَ رغبتُك في العملِ مع التَّصميمِ على التَّنفيذ ، فلا تتوانَى ولا تتخاذل ، فتجدُ العملَ سهلاً هينا ، لا يكادُ يجدُ منك جهداً يُبذَل فيه ، أو عُسراً يُنفق في سبيلِه ، وخيرُ وقتٍ لذلك هو المبادرةُ بتنفيذِ الرَّأيِ إذا بدا سدادُه ، بلا عجلةٍ أو تهوُّرٍ ، وإنَّما بفكرٍ ونظرٍ إلى عاقبتِه ، لئلاَّ يورثَك النَّدمَ حين لا يفيدُك .

* * *

ووجدَ في رسولِ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلَم مثلاً في النَّشاطِ والحركةِ والسَّعيِ إلى خيرِ العمل ، مثلاً عاليًا دونَه أيُّ مثل ، فلم يترفعْ وهو النبيُّ العظيمُ عن عملٍ ينالُ به رزقَه ، ولا ترك فرصةً تمرُّ دونَ أن ينتهزَها في سبيلِ صلاحِ المسلمين وخيرِهم ، ولم يزَلْ هذا دأبَه وسجيَّتَه ، حتى فتح اللَّهُ سبحانَه وتعالى على أيديهم البلادَ ومكَّنَ للمسلمين في الأرض ، وأصبحوا أعِزَّةً بعدَ أن كانوا أذلَّة .. وهذا هو حقيقةُ التوكُّلِ على اللَّهِ سبحانَه ، وليس معناه التَّواكلَ والكسل ، والخلودَ إلى الرَّاحةِ التي لا نهايةَ لها ، والهدوءَ الذى هو أشبهُ بالموتِ





منه بالحياة ..

ووقعَ من نفسِه قولُه عليه الصَّلاةُ والسَّلام : « إذا صَلَّيْتُمُ الْفَجْرَ فَلا تَنَاموا عَنْ طَلَبِ أَرْزاقِكُمْ » ـ موقعًا عظيما . وأخذ يفكّرُ في لفظِ الفجر ، ومعناه ، وما يَحملُ من البُكورِ والنّشاط ، وكأنما صلواتُ اللّهِ وسلامُه عليه ، يريدُ أن يجعلَ المسلمَ أوّلَ من يؤذنُ الكون بالحياةِ والنّشاط ، وأنّ نورَه ينبلجُ مع نورِ الفجر ، فيشرقُ على الوجودِ ضياء ، وإيماناً وبهجة ، وثقةً باللّه الذى خلقه وسوّاه ، فيقبلُ على السُّبلِ التى جعلها موطناً للكسب ، ومنبعاً للخير ، ومكاناً للبركات..

ولا يليقُ بالمسلمِ أن يخلُدَ إلى النّومِ بعد ما تقرّبَ إلى اللّهِ بالصّلاةِ وأقبل عليه يُناجيه ، ويطلبُ منه الهدايةَ إلى الصِّراطِ المستقيم ، لا يليقُ به بعدَ ما شرح اللّهُ صدرَه لهذه المناجاةِ السّامية ، والوقوفِ بين يدَيْه ، وإنزالِ الرّحماتِ عليه ، والتّجلّياتِ الّتى تحطّم الحجُبَ ، وتقرّب بينَ العبدِ وبينَ ربّه ، حتى يصبحَ بعدَ حين إذا سار فى هذا الطّريقِ عبداً ربّانيًا يقولُ

للشيءِ كنْ فيكـون .. لا يجدُرُ بـالمرءِ بعد مـا يصـلُ إلى هـذه الحالِ أن يعودَ إلى النّومِ ثانية ، فتتواثبَ حولَه أشباحُ الخمولِ والكسل ، فتقطعَ أمامه طريقَ السّعيِ والجدِّ والنّشاط ، فيبقـى كما هو خاملاً كسلان ، وإذا سعى فلن يكـونَ لسعيِه أثرٌ أو ثمرة ، أو خيرٌ يُرتَجَى ..

ولهذا نجحَ المسـلمون ، وتسـنّموا الـذّروة ، ذروةَ المجـدِ والعظمةِ والكمال ، وامتلكوا ناصيةَ الحياةِ أعـزَّةً أقويـاء ، مـع العَدَدِ والعُدَد . فما أقوى العزيمةَ حينما تسعى والقلبُ راض ، والضّميرُ مرتاح ، والنّفسُ مطمئنّة . !

وإنَّ للنّفسِ تعلاتٍ وأوهامـا ، إذا اندفـعَ الإنسـانُ فـى طريقِها، وانماعَ معها ألقت به في هوةِ الضّعةِ والذّلة ، وحفـرةِ الذُّهولِ والنّسيان ، حيث لا صوتَ لـه يرتفـع ، ولا رأىَ لـه يُسمع ، ولا أمرَ له يُطاع . وما أسرعَ الشّيطانَ حينذاك يُزيّـنُ له الشّر ، ويحسِنُ القبيح ، فيجعلُ الحظَّ عمادَ الحياةِ ، وأنه لا قيمةَ للسعيِ بجانبِ الحظ ، وكـم مـن إنسـانٍ يسـعى ويكِـد ، ويصبرُ ويجالدُ ، ومع هذا فلا يكادُ يجدُ مـن وراءِ ذلـك ثمـرة ،





أو ينالُ مكرُمةً من المكارم ، أو خيراً من الخيور . وكم من كسلانٍ متواكلٍ يواتيه الحظ ، فيسبقُ الأوّل ، وينالُ خيرَ ما يرجو .

وقد تتضخّمُ هذه الأوهامُ وتتجسّم فتصبحُ عقيدةً لا ينفعُ معها نقاش ، ولا يفيدُ نصح ، وهنا تكونُ الطّامةُ التى لا تُبقِي ولا تذرُ ، فما أسرعَ شيوعَ الآراءِ الخاملة ، التى تُغرِي بالرّاحةِ ، وتدعو إلى الخمولِ والكسلِ ، والإنسانُ فى هذه الحالِ يتلمّس لنفسِه المعاذير ، ويتمحّل الحيَل ، ويستسيغُ الأباطيلَ كائنةً ما كانت ، ما دامت تغذي هذه الناحيةَ من نواحي النفسِ ، التى هى أساسُ الفشل ، وَملاكُ الخَيبةِ والهزيمة ، والثُبور .

ويا ويحَ أمةٍ تسري بين أبنائِها هذه الآراء ، إنها والحالةُ هذه تندفعُ إلى طريقِ الفَناءِ اندفاعا ، لا يدعُ لها فرصةً للتّفكيرِ فى مستقبلِها ومكانتِها بينَ الأمم ، ولن يكونَ لها مقعدٌ إلا فى آخرِ الصُفوف ، إنْ رحمها اللّهُ من فضلِه ، وقدّر لها أن تعيش.

* * *



وهكذا مضى هذا الصَّحابيُّ الجليل ، يشنُّ الغارةَ على الكسلِ ودَعاتِه ، حتى سمَتْ به الهمَّة ، وقوِيَ العزم .

وجاء إليه أحدُ أصدقائِه باسمَ الثَّغر ، ضاحكَ السن ، قائلاً:

ـ ألم تسمعْ قولَ رسولِ اللّه صلى اللّهُ عليه وسلمَ فى النّشاطِ والعزم ، والإقبالِ على الحياةِ والعملِ بقلبٍ واثق ، وفؤادٍ ثابت ؟

قال فى دهشةٍ وعجب :

ـ لا ، لم يكن لى شرفُ الاستماعِ إليه الليلة .

ـ لقد فاتَك خيرٌ كثير .

ـ إذَن فهاتِ حديثَه مأجورًا مشكورا .

ـ لقد قال اللّيلةَ حاثًّا على النشاط : « بَاكِرُوا الغُدُوَّ في طَلَبِ الرِّزْقِ وَالْحَوائِجِ ، فَإِنَّ الْغُدُوَّ بَرَكَةٌ وَنَجاح » .

وأطرقَ الصَّحابيُّ الجليلُ عندما استمعَ إلى قولِ الرّسولِ الكريمِ ، يُلقيه عليه صديقُه وحميمُه ، وكأنَّما قال هذا القولَ فيه دونَ غيرِه ، وكأنَّه رأى بنورِ اللّه ما يعتملُ فى نفسِه

من أفكارٍ وخواطر ، وخواجَ وآراء ، وكأنه علِمَ مبلغَ ما قاسَى فى هذه السبيلِ من عناءٍ وتعب ، ومشقةٍ وجهد ، فقال له عبارةً سامية ، وحكمةً عالية ، أراحت قلبَه ، وطَمأنت فؤادَه .. وطافت روحُه بأفانينَ فياضةٍ من النور ، واعتزم أن يباكرَ الغدوَّ دائما ، وهو ما بينَ صلاةِ الصُّبحِ إلى طلوعِ الشمس ، وأن يسعَى فى طلبِ الرِّزقِ ما دام فى هذا البركةُ والنجاح .

